

صفحات من الذاكرة

حاجي الصراف: أنا حفيد أول صراف في الكويت

أجرى الحوار: جاسم عباس

■ أموال الشيخ جابر المبارك كان يودعها عند جدي
■ والدي كان يغير العملات الأجنبية في البصرة.. فمات هناك ودفن في النجف الأشرف

الرعييل الأول في الكويت تخضروا فترتني ما قبل النفط وما بعده، ففاسوا مر الأثنين وذاقوا حلاوتهما، عملاً وجاهداً وتدرجوا، رجالاً ونساءً، إلى أن حققوا الطموح أو بعضاً منه، ومهما اختلفت مهنتهم وظروفهم، فإن قاسماً مشتركاً يجمعهم هو الحنين إلى الأيام الخوالي.

«القبس» شاركت عدداً من هؤلاء الأفاضل والفاضلات في هذه الاستكثانة:

روبية، ويساوي ١٨٧ فلساً كويتياً، دخل التمسواوي في الأسواق الكويتية من عام ١٧٩٠، واستمر فترة طويلة إلى أن انقطع نهائياً بعد عام ١٩٢٥.

وقال: من العملات التي استخدمت في الكويت «طويلة الحسا» وتسمى مشبك الشعر (ماشة) وهي أول عملة استخدمت في الكويت ذهبية وقضية ونحاسية، ومن العملة التي تداولها الناس «قران ابويبيه»، والليرة المجيبية، ويرجع بالك وهي عملة ذهب ثمنها ٥ ليرات ذهبية، وتسمى عملة بهلوي، والبيزوت المسكيكي والجنينة الذهب البريطاني، وكان الناس يحضون اقتناء وحفظ العملات الذهب خاصة اليهود، لأنهم كانوا يعتقدون أن المستقبل أضمر مع العملات الذهب خاصة في الفترة من عام ١٩٤٠ حتى ١٩٤٩. وكان والدي كاشير السفر في البصرة ويغادر ليقوم بتغيير العملات الأجنبية وتبديلها حيث لم يكن في ذلك الزمان بنوك في الكويت فاشترى سيارة فوردي ١٩٤٧ يسافر بها لعمله وينقل المسافرين إلى البصرة، وكان يقودها عبدالحسن الموسى، وهناك سيارات خاصة أخرى لنقل المسافرين منها سيارة عبدالعزيز الفهد، والحاج ياسين التركي، والحاج أمين الرئيس، بالإضافة إلى سيارة الشركة الكويتية للمواصلات التابعة للمرحوم صالح الحمضي، وهي باصات خشب، تقف في الصفاة، وقد شاء القدر أن توفي في البصرة عام ١٩٥٥ ودفن في النجف الأشرف.



حضر السيل

ويضيف حاجي: ومن تكرياتي أن والدي اشترى لنا بيتاً حين كنت طفلاً فانتقلنا إليه من بيت جدي وهو يقع في فريج طيخ (الكوية) بالقرب من حضرة طيخ من الحاج علي النقي والد مختار الدسمة حيث نشأت فيه وهو قريب من مروزة العبد الرزاق.

وقال في برأحتنا حفرة كبيرة تتجمع فيها مياه الأمطار لعدم وجود المجاري، وفي الكويت فخر كثيرة قامت بدورها في تاريخنا، والأطفال كانوا يلعبون حولها، ويصطادون الطيور منها: حشرة النير، وحفزة تيفوني، والمسبل، والمحميد المنصقة بمسجد الصحاف بالقرب من البورصة، وهذه الحفرة كانت قريبة من بيتنا وأيضاً حفرة الرزاقية، ومنها أيضاً: حفرة العجكل، والعوزام، وحفزة السوق الكبيرة والمدان الصغيرة والكبيرة وحفزة بوطيبيان وحسين الوزان، والسيت، الفارس، المشاري، ادعيم، ابن اريس، ابن منصور، الروضان، المرتكي، الفريج، ابن غريب، حفرة الفلاح، الحميد، وتركي الرشيد، حفرة حبيب، فيروز، سرور، وابن نامي.

«كاري».. حصان إبليس

ويروي لنا الصراف عن جده فيقول: إن الشيخ مبارك الصباح عندما يأتي إلى السوق كانت الناس تترافق من أمامه لهيبته، وفي بداية دخول الدراجة الهوائية إلى الكويت، كنا نسميها «كاري» التسمية تركية وساحلية (GARI)، والبدو القدماء من أهل بادية الكويت يسمونها حصان إبليس، اشترى الشيخ مبارك لابنائه وأبناء الأسرة من هذه الكواري، وكانت إحدى هذه الدراجات ذات ثلاث عجلات كبيرة تخص الشيخ حمد المبارك، اشتراها والدي منه، وكان من هواة ركوب الدراجات، وكان صاحبه ابن مرهون، وملا عابدين، وملا جمعة، وإسماعيل جمال بنهيون بدراجاتهم إلى الدسمة للحبال، ورأس الأرض للحداق (صيد السمك).

تركت الصرافة إلى الشؤون

وتحدث الصراف عن دراسته فقال: بدأت حياتي الدراسية في المدرسة الجعفرية، ثم إلى الطلوعة العلوية أمانة والدة عبدالمحسن المشرك بنت سيد علي الزلزلة، وانتقلت إلى المباركية بعد أن «بيت» والنتبونه هي تضعيم ضد الأمراض السارية، وبعد أن ارتحمت المدرسة نقلتوا إلى ديوانية سيد خلف النقيب حيث سميت بمدرسة الروضة في ١٩٤٧.

وكان ناظرها عقاب الخطيب، وكانوا يوزعون الملابس على الطلبة المحتاجين، طرني الناظر قال: أبوك عنده بيزات مكمومة في الصنوق، كان موقع الروضة مجمع المحاكم الحالي تقريبا، ثم رجعت إلى المباركية وأتممت أولى ثانوي وفقاً للنظام الفلسطيني ثم تغير إلى المصري، وكان معي في الصف الشيخ توفيق الأحمد ولي العهد حفظه الله ثم انتقلت إلى الصفاة وكنت ضمن فريق الطائرة والسلة والكشافة، وعندما توفي والدي أخذت مكانه في محل الصرافة، وعملت صرافاً حتى أوائل الستينات أصبحت مهنة مرهقة، ودخلت إليها عناصر غير متميزة بالأمانة، فتركها وعملت في الشؤون قرابة ٢٢ سنة ثم تقاعدت.

«مطرب الأسواق»

وعن العادات المسنة تذكر «مطرب» والمطرب شخص من كان يجوب الأسواق يعلن عن شيء مفقود، ويعد بمكافأة لمن يعثر عليه، أو الدعاة له بالجزة والأجر من الله تعالى، ويصبح بأعلى صوته، «يا من عين الفقود والحلاوة كذا وكذا»، وكل من يعثر بنجته إلى ذلك المطرب، وهو ينادي بأنه عثر على الفقود.

وقال حاجي: في أحد الأيام ضاع من والدي نوب أبو الف روبية نكف، وأمطرب، وهذه العادة المسنة كانت متبعة نذل على أمانة الناس، فلم يكن يوجد مخاف، ولا صحف ليعان عما يلفق، وثقة الناس ببعضهم وبنها المطرب صاحب الصوت الجهوري، وهذه الكلمة أصلها «مطرق» الذي ينادي في الطرقات، ويطلق كل مكان.

العملات وتبديلها

وتحدث الصراف عن العملة التي كانت متداولة في أيام والده، وهي الريال التمسواوي أو ريال الملكة تريزا، أو الفرنسي، ريال الفضة، تسمية مختلفة لعملة واحدة، ريال يحمل صورة الملكة، كان دائري الشكل من الفضة يعادل ٢,٥



■ إعلانات الحكومة وقراراتها كانت تعلق على جدار دكان والدي قبل إصدار الجريدة الرسمية
■ عندما نفقد شيئاً كنا نلجأ للمطرب لانعدام المخافر فينادي في الأسواق حتى نجد المفقود

وجاء في الأضلال: إبليس ما يخرب عشه لو هدم، واحياناً نصب داخل بيتنا القديم «عمارية» سقفيه هرمية الشكل تشبك الجريد والخوص أو الخياش تكون على شكل ٨، كنا نجلس تحته لتلقي بها حرارة الشمس، واندكر كانت تباع تحتها الحاجيات من الدهن والقع والطرايث، وأما المدعاب فكان تصريف مياه لاطار من الحوش إلى الخارج، والمرام في أعلى السطح لترت به مياه الامطار إلى السكة.

«سكين» العجيب

وعن الألعاب الشعبية التي كنت اهلها - يضيف الصراف - لعبة «الكوت»، ومنذ الماضي إلى الحاضر من ألعاب الجنيقة وتعرف اللعبة بالكوتيشية أي كوت، جينه Court of china لعبة مجلس الصين، ومعروف أن الصينيين هم الذين اخترعوا أوراق اللعب وتحمل صورة اباطرتهم، ومن الألعاب في الماضي كرة القدم كوت فريج «الشبيبة»، ولعلينا كان خلف وزارة الأبناء والإرشاد سابقاً، والآن بني عليه مجمع الصواب.

وقال الصراف: أول لعبة منفرجة لعبتها «سكين» عبارة عن دراجة تدفع برجل واحدة والثانية على القاعدة اشتراها والدي من البصرة، وحاول التجارون أن يقلدوها ولم يستطيعوا لأنها كانت من الخشب والعجلات من فولاذ

بيت قديم

وتحدث حاجي الصراف عن بيوت الكويت القديمة قائلا: كانت من الصخر البحري الذي كان يجلب في القديم من العسجرج، وكان الباب أبو سفاته أو صفاكتين من خشب الساج الخمين، وبيتنا في فريج الشيوخ كان مكان الكبار على مكة التي بناها جدي خارج البيت للجلوس عليه، عبارة عن كرسي بطول ٣ أمتار مبني من الطين ويعلو سطح بيتنا «باكبور»، له فتحات واسعة يشبه البرج، وكان الهواء يرتفع بتلك الفتحات فينتسرب إلى داخل الغرفة، ولا نشي بهيليز الذي يصل الباب الخارجي بحوش البيت، ونهايته ستارة من القماش أو الخيش لتجنب نساء البيت عن المارة، ولا يخلو أي بيت من الجليب، كان يخفر على هيئة تجوف اسطوانتي قطره مستر أو أكثر، ويدخله بيطن بالصخر والطين، وهذا الماء يستخدم للتنظافة والتهارة، وتبريد اللواك، ولا يصلح للشرب.

وقال: لا تخلو غرفة من الرويشة وهي كوة مربعة داخل احد جدران الغرفة، واستعملت لوضع الزيتة، ولا يخلو البيت من العريش اسقف من البوري أو الصخران وعمدته من الجندل) كنا ننظف تحته للراحة، والعشة أيضاً من مستزلمات البيت وهي عبارة عن كوخ من القصب والبوري

(جروح)، ثم لعبت في براجة خشبية من مقلات الحرب العالمية الثانية، كان شكلها غريباً، وفي الليل لعبنا (صفور) لعبة قاسية تعتمد على القوة والذكاء، والهور، في الليل تحتاج إلى مجهود واسع، ولعبة الخيلة فيها أنواع من اللعب منها: أوراثة، كونيّة، جفة وشبر، جفة وحوش، ولعبة الجيس، والبراحة المكان المنسج لجمع الأعمال، من تعشى تشي والوعد بالبراحة، وطلبي يا جعب، وبراحات كثيرة منها: براجة الماص - السبعان - امجبل - القروية - العوزام - ابن شرف - اظمية - اطميح - النجارة وبراحة الفوارة، وعسق، والقناعات ومبارك، حمود الناصر، وبراحة سبت، الدبوس، الرومي، الروضان وعيشان في القبلة.

وختم بتفسير الحبال فقال: هي كلمة حبل تعني نصب وقع في الحبال أي المصيدة، وتعني عندنا في الكويت صيد الطيور، وموسمه فصل الربيع من مارس وابريل ومايو، وقال الصلاب من ابوات الصيد لا أنساها كنت أجمع أعواد أربط كل عودين معاً والفضل الأغصان من شجرة الزمان، وطريقة الصيد بالخصافة لطيور الجنة (النورس)، والفخ والسالبة، والنباطة، والمترخ، وأحب الطيور إلينا الحمامي، أول طير هو القفاني في الربيع وآخره الذباني، ومن طيورنا: حمروش - زور - رساني - أم بغي - أشول - السلاحي - بصوة - الزرعة - ارميز - احميج.



● العام الدراسي ١٩٥٤-١٩٥٥
● الجلوس (من اليمين): أنور النوري، علي الوزان، عبدالرحمن الغنيم، عبد الرحمن المضاحكة، مصطفى عبد الصمد
● الوقوف (من اليمين): حاجي الصراف، نوري مساعد الصالح، فيصل المرزوق، أحمد بيدي، المدرس علي عثمان، عبد الله الدخيل، عبدالله الخرس، يوسف بورسلي، عبد العزيز القديري سالم تركي، أحمد النفيسي

● مدرسة الصباح ١٩٥١ - فريق كرة القدم الحائز على كأس المدارس
● الجلوس (من اليمين): عيسى المشاري، أحمد الرجيب، أحمد المهنا، حاجي الصراف
● الوقوف (من اليمين): عبدالحميد الحجي، صبيح أمين، عبدالرضا فرج، محمد الصانع، عبدالرحمن سيد عمر، علي عبدالكريم، محمد الحميد، منصور الزيتة